الدولة الأموية

فاجعة كربلاء

سلسلة تاريخ العرب والإسلام

تاريخنا

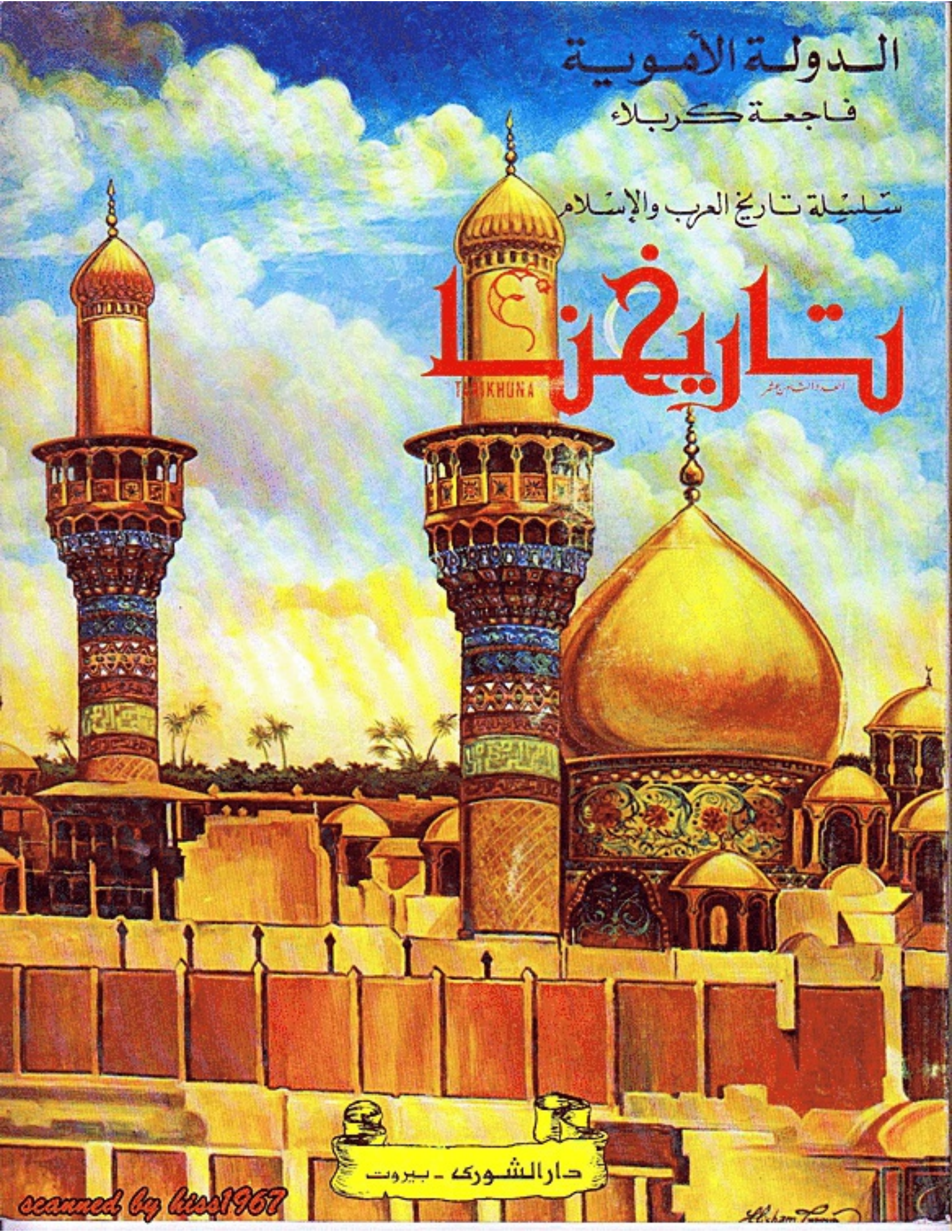

دار الشورى - بيروت

scanned by kiss1967

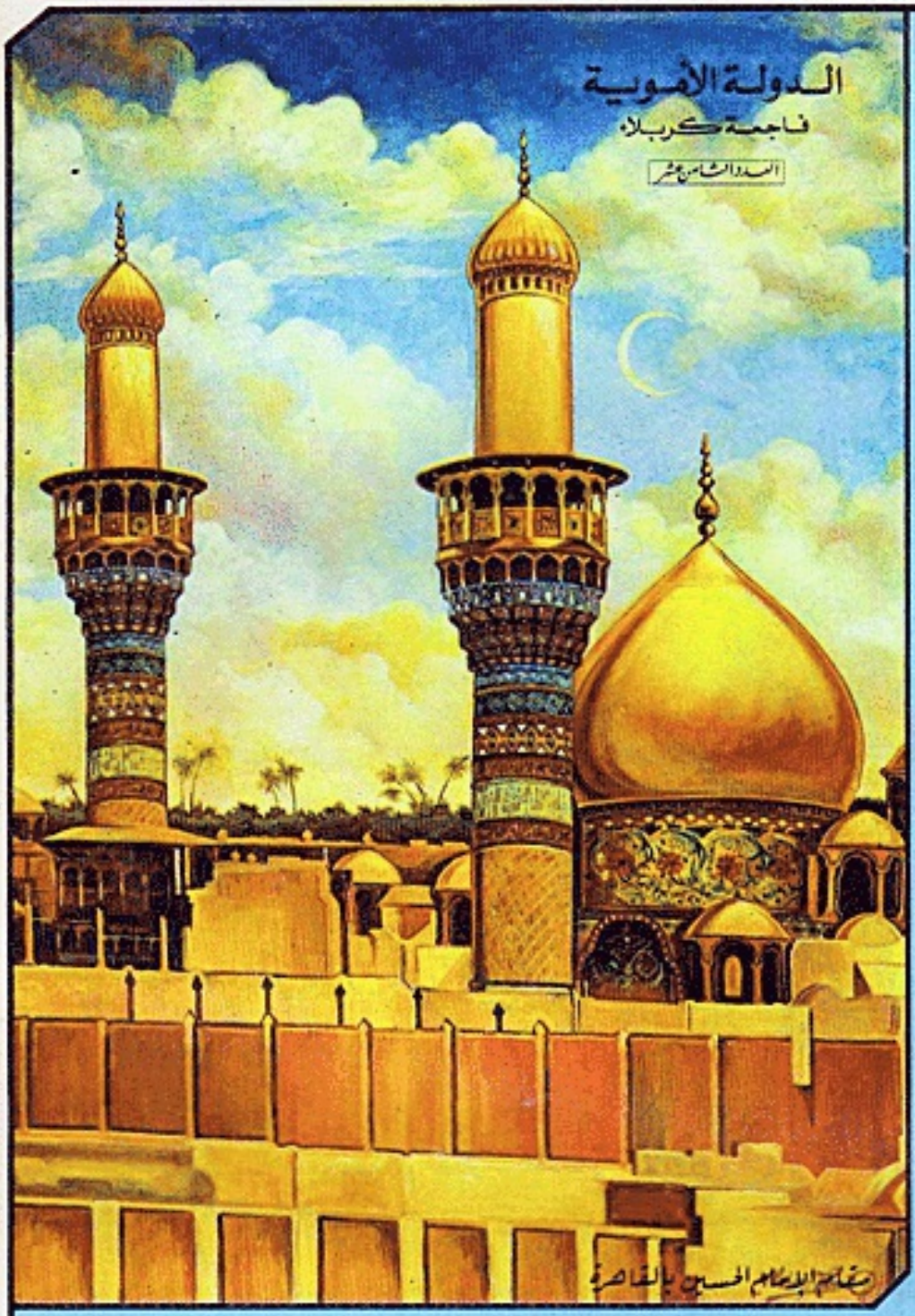

تاريخنا
TARIKHUNA
العدد الثامن عشر

سلسلة تاريخ العرب والإسلام

أسبوعية تصدر مؤقتا شهرية
تأسست في بيروت عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
صاحبتها : سهام زهير شريف

رئيس التحرير : عرفان محمد حمور

الأمناء { الدكتور صبحي الصالح
الدكتور محمود زايد

توثيق الآثار : رجاء سثري

المدير المسؤول : عاصم محمد الجسر

الناشر : دار الشورى
بناية التاجر - شارع كليمنصو
ص.ب: ٤٢٥١-١١ تلفون ٣٦٦٢٩٦/٧
تلكس: LE ٢٣٠٥٥ شورع
بيروت - لبنان

ثمن النسخة - PRICE PER ISSUE

لبنان ١٠ ل.ل. • سوريه ١٠ ل.س. • الاردن ١ دينار • الكويت ١ دينار • قطر ١٠ ريال • اليمن ١٠ ريال • ليبيا ١ دينار • البحرين ١ دينار • السعودية ١٠ ريال • تونس ١ دينار • المغرب ١٠ درهم • العراق ١ دينار • الجزائر ١٠ دينار • اتحاد الامارات العربية ١٠ درهم • السودان ١ جنيه • عمان ١ ريال • الاشتراك السنوي : لبنان ١٠٠ ل.ل. البلاد العربية الاخرى ١٤٠ ل.ل (ما عدا ليبيا والعراق) . البلدان الاخرى ١٠٠ دولار بما فيه البريد الجوي

Lebanon 10 L.L. • Syria 10 L.S. • Jordan 1 J.D. • Kuwait 1 K.D. • Qatar 10 Riyals • Yemen 10 Riyals • Libya 1 D. • Bahrain 1 D. • Saudi Arabia 10 Riyals • Tunis 1 D. • Morocco 10 Dirhams • Iraq 1 I.D. • Algeria 10 D. • U.A.Emirates 10 Dirhams • Sudan £ 1 • Oman 1 Riyals

Annual Subscription: Lebanon 100 L.L. - Arab Countries 150 L.L. - All other countries $100. Air Mail postage included

TAJER BLDG - CLEMENCEAU ST - P.O.BOX: 11-4251 - TEL 366296/7 - TELEX 23055 LE CHOURA - BEIRUT - LEBANON

وكلاء التوزيع في لبنان والبلاد العربية / الشركة العربية للتوزيع ش.م.ل.
وتطلب في البلاد العربية من: مؤسسة الهلال / البحرين • وكالة التوزيع الأردنية / عمان • الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات / الكويت • مؤسسة دار العروبة / قطر • الشركة الشريفة للتوزيع والصحف / الخبر • المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع / أبوظبي • مكتبة دار الحكمة / دبي • مكتبة مكة / جدة • مكتبة مكة / الرياض • مكتبة مكة / الخبر • المؤسسة العربية السورية لتوزيع الصحف والمطبوعات / دمشق • الشركة الجزائرية للتوزيع / الجزائر • المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان / ليبيا • مكتبة دار الفكر / اليمن

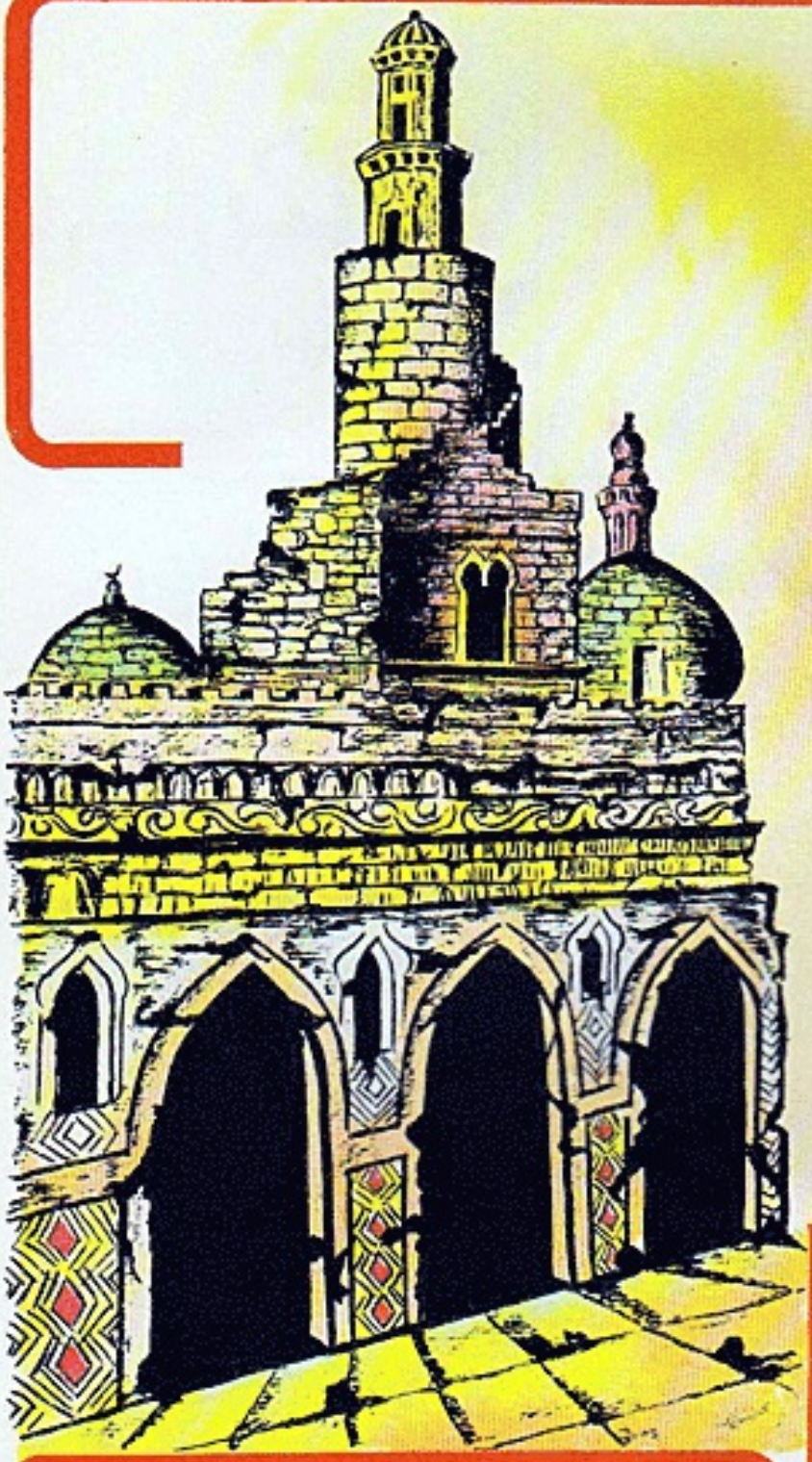

كلمة التحرير

الاختيار الخطأ ...

أفلح معاوية بن أبي سفيان في معالجة كثير من شؤون المسلمين، بما آتاه الله من عقل وحزم وعزم، وبما تحلى به من لباقة وكياسة وحلم ولكنه خاب حينما اختار للمسلمين ابنه يزيد خليفة من بعده، فخالف عن سنة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، واستحدث أمراً كرهه المسلمون فجعل الخلافة وراثية .. غلبت عليه عاطفة الأبوة. فلم ير بين المسلمين من هو أليق من يزيد بالخلافة مع أنه كان يدرك أن رهطاً كبيراً منهم لن يقبل هذه الفكرة لأنها خروج على السنة أولاً، ولأن يزيد لم يكن أهلاً للخلافة، ولا كان من خيار المسلمين.

فقد نشأ معاوية نشأة عربية قرشية، بواد غير ذي زرع، فعرف قسوة الحياة، وشظف العيش، قبل أن يعرف النعم والرفاهة. ثم أسلم، وكتب للنبي ﷺ، وتأثر بصحبته وصحبة خيار المسلمين وعمل لأمير المؤمنين عمر، فتأدب بكثير من أدبه وكان لذلك كله أثر في سلوكه وسياسته حين استقام له أمر المسلمين ...

أما يزيد فقد نشأ في دار إمارة، لم يعرف خشونة ولا شظفاً، ولم يبذل لعيشه جهداً، إلا ما كان من أجل عبث أو لهو، ورث عن أبيه بعضاً من ذكاء قريش، وعن أمه بعضاً من بداوة قبيلة كلب وغلظتها. وكان مغرماً بالصيد والقنص، مقبلاً بكل غرائزه على الدنيا ...

فلما قام مقام أبيه تلقى دولة مترامية الأطراف لم يبذل جهداً في تأسيسها، وكان يرى طاعته حقاً على الناس جميعاً، فسار فيهم سيرة مناقضة لسيرة أبيه، فصارت أمورهم إلى شر ما يمكن أن تصير إليه ...

رئيس التحرير

تأليف وسيناريو وحوار

عرفان محمد حمور

الرسوم والالوان

عصام أحمد شميساني

الخطوط

حسن حسين فتوني

العلاقات العامة

نجيب بهنان

المقدمة

السِّبْطُ الشَّهيدُ

هو أبو عبد الله ، الحسينُ بنُ عليّ بن أبي طالب ، الهاشميّ القُرَشيّ ، وسِبْطُ النبيّ ﷺ من ابنته فاطمة الزهراء . ولد في المدينة المنوّرة سنة ٤ للهجرة ، ونشأ في منزل النبوّة ، وكان النبيّ عليه السلام هو الذي سمّاه . وسمّى من قبلِه أخاه الحَسَنَ . وقد شَملهما بفيضٍ غامرٍ من حُبّه وحنانه ورعايته .

تعلّم الحسينُ في صِباهُ كلّ ما كان معروفاً في أيامه من فنون الأدب والعلم والفروسيّة وقد آتاه اللهُ موهبةَ الخطابة من طلاقةِ لسان ، ونصاعةِ بيان ، وغُنّةِ صوت . فكان أديباً حاذقاً باللغة ، وفقيهاً مُتمكّناً ، وفارساً شجاعاً جواداً . وكان كأبيه صارماً في إحقاق الحق ، وإزهاق الباطل . لا يُداري ولا يُداهن . وقد سنّ للناس سُنّةً في آداب الأسرة ، تليقُ بالبيت الذي نشأ فيه .

فلمّا عقد أخوه الحَسَنُ الصُّلحَ مع مُعاوية على كُرهٍ منه ، همّ بمُعارضته ، بل أشار عليه بالقتال ، فغضب الحسنُ وقال له : "واللهِ لقد هَمَمْتُ أن أسجنَك في بيتٍ وأطيّنَ عليك بابه ، حتى أقضي بشأني هذا وأفرغَ منه ، ثم أُخرِجُك" .. فلم يُراجعْه الحسينُ بعدها ، وآثرَ الطاعةَ والسكوت وظلّ وفيّاً لعهد أخيه ، وأبَى الخروج على معاوية بعد وفاة أخيه الحَسَن ، وقال لأنصاره الذين حرّضوه على خَلْع معاوية "إن بيننا وبين الرجل عَقْداً وعهداً لا يجوز لنا نقضُه حتى تمضي المدّة ..." .

بل إنه أدّى فريضةَ الجهاد في عهد معاوية ، واشترك في غزو القسطنطينية سنة ٤٩ هجرية ، وأبلى فيها خير البلاء ، ومن قبلُ اشترك في فتح إفريقية وطبرستان ثم عاد فلَزِمَ المدينةَ ، يجلسُ في المسجد النبويّ ، يروي الحديث ، ويشتغلُ بأمور الدين فيتحلّقُ من حوله المسلمون ، يتعلّمون منه أصولَ دينهم ويستفتونه في شؤون دُنياهم .

وكان الحسينُ رحمه اللهُ لطيفَ الحِسّ جميلَ الذَّوق ، يحبُّ الطِّيبَ والبخورَ ويحتفلُ للزّهر والرَّيحان ... رَوَى أنَسُ بنُ مالك أنه كان عند الحُسين يوماً ، فدخلت عليه إحدى جواريه ، وبيدها باقةٌ من رَيحان ، فحيّتْه بها ، فقال لها : أنتِ حُرّةٌ لوجه الله تعالى ! فسأله أنَسٌ مُتعجّباً : جاريةٌ لك تجيئك بباقة ريحان ، فتُعتقُها ؟ فأجابه الحسينُ : كذا أدّبنا اللهُ ، قال تعالى : "وإذا حُيّيتُم بتحيّةٍ فحيّوا بأحسنَ منها أو رُدّوها" ، وكان أحسنَ منها عِتْقُها !

كرِهَ الحسينُ مُبايعةَ يزيد بالخلافة ورَحل عن المدينة إلى مكّة ، فدعاهُ أهل الكوفة من أشياع أبيه إليهم ، وكتبوا إليه أنهم في جيشٍ لَجِبٍ مُستعدٍّ للوثوب على الأمويّين ، ومُبايعته بالخلافة ، فخرج من مكّة في حوالي ثمانين رجلاً من أهلِه وأصحابه ، ولمّا وصل إلى العراق تنكّر له من كتبوا إليه ، فوجّه عُبيدُ الله بنُ زياد جيشاً اعترضَ الحسينَ في كربلاء بالقرب من الكوفة ، فنَشِبَ قتالٌ عنيفٌ غيرُ متكافئٍ بين الفريقين ، سَقَطَ فيه الحسينُ ومَنْ معه كافّةً ، لم ينجُ منهم أحدٌ سوى ابنِه عليّ بن الحسين ، بعد أن قاتلوا قتالَ الأبطال الصَّناديد . كانوا ثمانين رجلاً فقط ، وقد تصدّوا لجيش من أربعة آلاف مقاتل بعزمٍ عجيبٍ على الشهادة فكان يومُ الاستشهاد في العاشر من شهر المحرّم سنة ٦١ هجرية ، وظلّ ذلك اليومُ يومَ الحزن والكآبة عند المسلمين لِمَا أصاب آلَ البيت فيه من مُصيبةٍ مُوجعةٍ مُؤلمة . رَحِمَ اللهُ آلَ البيت النبويّ ، ورضيَ عنهم ، وأرضاهم ...

عرفان محمد حمّور

البيعة ليزيد بولاية العهد

لمّا أجمعت كلمةُ المسلمين عام ٤١ هـ على معاوية بن أبي سفيان أميرًا للمؤمنين، بعدما تنازلَ له الحسنُ بنُ عليّ عن الخلافة، انصرف إلى تنظيم أمور الدولة على أسس جديدة متأثرًا بأنظمة الحكم التي كانت سائدة في امبراطوريتي فارسَ والروم. ثم التفتَ إلى حركة الفتوح، فاستأنفها برًا وبحرًا بمقدرةٍ عجيبةٍ، وعزمٍ لا يلين. وقد رأى أنّ انحصارَ الحكم في أسرة واحدة، وانتقاله بالوراثة بين أفرادها، أمرٌ يعزّزُ الاستقرارَ في البلاد، ويحولُ دون انقسام الأمة إلى طوائفَ وفئاتٍ تؤيّدُ كلٌّ منها طامعًا بالخلافة، أو راغبًا فيها. فأخذ يُعدُّ العُدّةَ لتنفيذ فكرته، ويُهيّئُ نفوس المسلمينَ للاطمئنان إليها، لأنّ أكثرهم سيرونها خروجًا على سُنّة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، الذين مضَوا ولم يستخلفوا أحدًا.

وحينما أدركتِ الشيخوخةُ معاويةَ بنَ أبي سفيان عزَمَ على أن يأخذَ البيعةَ لابنه يزيد وليًا لعهده في الخلافة. فاستشارَ كبارَ رجالِ دولته، وأصدقاءَهُ، فزيّنَ له معظمُهم هذا الأمرَ، وأثنى عليه.

وقد حضرَ المغيرةُ بنُ شعبة قبيلَ وفاته جانبًا من هذه المشاورات ومما قاله لمعاوية:

قد رأيتَ ما كان من سَفكِ الدماء، والاختلاف بعد مقتل عُثمان، وفي يزيد منكَ خَلَفٌ، فاعقِدْ له. فإن حدَثَ بك حادثٌ كان كهفاً للناس، ولا تكون فتنةٌ!

فارجِعْ إذاً إلى عملك، وتحدَّثْ مع من تثقُ به في ذلك... وانتظرْ ما يأتيك منا...

ثم بدأ معاوية يمهّد لإعلان هذا الأمر، وأوعز إلى ولاته على الأمصار، بالثناء على يزيد، وإطراء صفاته أمام الناس، وطلب إليهم أن يرسلوا وفوداً من المسلمين إلى دمشق تبايع يزيد بولاية العهد ...

أقبلت وفودُ المسلمين من الأمصار إلى دمشق، فيها أهلُ العراق، وأهلُ الشام، وأهلُ مصر وغيرُهم ...

ولمّا اجتمعت الوفودُ في دمشق قال مُعاوية للضحّاك بن قيس الفهري:

إني مُتكلّمٌ في الوفود، فإذا سكتُّ، فكُنْ أنتَ الذي تدعو إلى بَيْعة يزيد، وتحثّني عليها.

وكان الضحاكُ بن قيس بن خالد القُرَشي سَيِّدَ بني فِهْر في عصره . وكان واحدا من القادة الشجعان شهد فتح دمشق ، وسَكَنَها . ولاَّهُ مُعاوية على الكوفة سنة ٥٣ هجرية بعد وفاة أميرها زياد ، ثم أعاده إلى دمشق فيما بعد ...

فلمّا جلس معاويةُ للناس وأمامه رؤساءُ القوم وأشرافُهم ، تكلّم ، فحمِدَ اللهَ ، وعظّم أمرَ الخلافة وحُرْمَتها ، وحَقَّها ، وشَرَحَ ما أمرَ اللهُ به من طاعة أولي الأمْر ...

فقام الضحّاكُ بن قيس ، فذكَرَ اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أمير المؤمنين !

إنه لابدَّ للناس من والٍ بَعْدك ، وقد بَلَوْنا الجماعة والأُلفَةَ ، فوجدناهما أحْقَنَ للدِّماء ، وأصْلَحَ للدَّهْماء ، وآمَنَ للسُّبُل ، وخيراً في العاقبة ... ويزيدُ ابنُ أمير المؤمنين في حُسْن هَدْيه من أفضلنا عِلْماً وحِلْماً ، وأبْعَدِنا رأياً . فوَلِّه عَهْدَكَ ، واجْعَلْهُ لنا عَلَماً بعدك ، ومَفْزَعاً نلجأُ إليه ، ونسكنُ في ظلّه* ...

* بَلَوْنا : خَبَرْنا . حَقْنَ الدماء : صانَها ودم يُراقُ دما . الدَّهْماء : جماعةُ الناس . الهَدْيُ : السير .

ثم تكلم زعماء الوفود ، وأعلنوا موافقتهم على اختيار يزيد ولياً للعهد . وتقدم الناس فبايعوا وتم لمعاوية ما أراد من بيعة أهل العراق والشام ومصر . ولم يبق أمامه سوى بيعة أهل الحجاز .

وكانت جماعات من أهل الحجاز أوفدت إلى دمشق مَنْ قال لمعاوية :

ولكن نفراً من سادة الأمة ، وعلى رأسهم الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، كرهوا أن يصبح نظام الحكم في الإسلام وراثياً ، ورفضوا مبايعة يزيد بولاية العهد ..

فانتقل معاوية من دمشق إلى المدينة ، ثم إلى مكة ، في محاولة منه لإقناع أولئك النفر من أشراف القوم بمبايعة يزيد ...

وبعد أن قضى مناسك العمرة ، لاقى أولئك النفر ، وكانوا قد اتفقوا على تفويض ابن الزبير بالكلام عنهم ...

وقد بدأ معاوية الكلام فقال :

قد علمتم سيرتي فيكم ، وصلتي لأرحامكم وحملي ما كان منكم !.. ويزيد أخوكم وابن عمكم ، وأردت أن تقدموه باسم الخلافة ، فما تقولون ؟..

فأقبل عليه ابنُ الزبير قائلاً :
نُخيِّرك بين خِصال ثلاث..
ماهي؟
تصنعُ كما صنع رسولُ الله ﷺ ، فقد قبض ولم يستخلفْ أحداً، فارتضى الناسُ أبا بكر..
فأجابه ابنُ الزبير:
ليس فيكم مثلَ أبي بكر، وأخافُ الاختلاف ! فما عندكم غير ذلك .. ؟
صَدَقْتَ ، فاصْنَعْ كما صَنَعَ أبوبكر، فإنه عَهِدَ إلى رجل ليس من بني أبيه فاستَخْلَفَهُ . وإن شئتَ فاصْنَعْ كما صَنَعَ عُمَرُ بن الخطّاب ، جَعَلَ الأمر شورى في ستة نَفَر ليس فيهم أحدٌ من ولده ولا من بني أبيه !

ثم خرج معاوية غير مبال برأي أولئك النفر، فدخل المسجد، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

إن هؤلاء الرهط، سادة المسلمين وخيارهم، لا يبت أمر دونهم، ولا يقضى إلا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد، فبايعوا على اسم الله..!

فبايع الناس، وكانوا ينتظرون بيعة هؤلاء النفر من سادة المسلمين فلما سمعوا معاوية يخبرهم بموافقتهم على البيعة بايعوا. ومضى معاوية عائداً إلى المدينة، ثم إلى الشام.

... يابنيَّ ! إني قد كفيتُك الشدَّ والترحال، ووطَّأتُ لك الامور، وذلَّلتُ لك الاعداء ... فانظرْ أهلَ الحجاز فإنهم أصلُك، وأكرمْ من قَدِمَ عليكَ منهم، وتعاهَدْ من غابَ. وانظرْ أهل العراق فإنْ سألوك أن تعزلَ عنهم كلَّ يوم والياً فافعلْ، فإنَّ عَزْلَ والٍ أيسرُ من أن يُشهَرَ عليك مئةُ ألف سيف ...

... وإني لستُ أخافُ أن يُنازِعَك في هذا الأمر إلا هؤلاء النَّفَر: الحسينُ بنُ عليّ وعبدُ الله بنُ الزبير وعبدُ الله بن عمر. فأمّا ابنُ عمر فإنه رجلٌ غلَبَتْهُ العبادةُ، فإذا لم يبقَ أحدٌ غيرُه بايعك. وأمّا الحسينُ فلن يتركه أهلُ العراق حتى يُخرجوه، فإنْ خَرَجَ وظفِرْتَ به فاصفَحْ عنه، فإنَّ له رَحِماً ماسَّةً. وحقّاً عظيماً... وأمّا الذي يجثمُ لك جُثومَ الأسَدِ، ويُراوغُكَ مُراوغةَ الثعلب، فإنْ أمكنتْهُ فرصةٌ وثَبَ، فذاك ابنُ الزبير. فإنْ فَعَلَها، فظفِرْتَ به، فقطِّعْه إرْباً إرْباً ... واحقِنْ دماءَ قومك ما استطعتَ.

وفي مرض معاوية مرض الموت في شهر جمادى الآخرة سنة ٦٠ هجرية كان ابنه يزيد غائباً، فأحضر إليه الضحّاكَ بنَ قيس ومُسلِمَ بنَ عقبة المرّي، وأعطاهما وصيّته إلى ابنه، ومما جاء فيها:

ثم توفي معاويةُ في شهر رجب من سنة ٦٠ هجرية فصلّى عليه الضحّاك بنُ قيس الفهري، وكان يزيدُ غائباً في حَوارين* فأرسلَ إليه، فأقبل إلى دمشق، وأتى قبرَ أبيه فصلّى عليه ودعا له. ثم بايعه الناسُ خليفةً لأبيه ...

* حُمَّارين من قُرى حمص

عهد يزيد بن معاوية

هو أبو خالد، يزيدُ بنُ معاوية، وُلد في الشام سنة ٢٥ هجرية وأمّه هي ميسونُ بنت بَحْدَل من كرائم بني كلب العريقات في النَّسَب. لم تُطِقْ حياةَ المدينة، فأرسلها معاوية وابنَها يزيد إلى البادية، فنشأ يزيدُ نشأةَ فتيان العرب، شجاعاً كريماً، وشاعراً فصيحاً، عاقلاً، وكان مُحِبّاً للصيد، ورُكوبِ الخيل، موفورَ الرغبة في اللهو. وقد شبَّ لمّا صارت الخلافةُ إلى أبيه، فكان لذلك أثرٌ في سلوكه. وكان أبوه يُرشّحه للإمارة، فولاّهُ الحجَّ مرتين، وولاه قيادة إحدى فرق الصوائف، وأرسله في الجيش الذي غزا القسطنطينية، فأبلى في قتال الروم بلاءً حسناً حوالي سنة ٤٩ هـ. تولّى الخلافة ولم تكن لديه الخبرةَ والدّرايةَ والحُنكةُ التي تؤهّله لمثل هذا المنصب، ولم يكن حوله من المُشيرين والنُّصحاءِ أمثال الذين كانوا حول أبيه، فأخفق في تدبيره، وحَبِطَتْ أعمالُه.

جلس يزيدُ على كرسيّ الخلافة، وكان أوّلَ أعماله إقرارُهُ عُمّالَ أبيه على ولاياتهم.

يبقى عبيدُ الله بن زياد على البصرة، والنعمانُ بنُ بشير على الكوفة، والوليد بن عُتبة بن أبي سفيان على المدينة، وعمرو بن سعيد بن العاص على مكة، ومَسلَمة بن مخلّد على مصر والمغرب ...

ثم كتب إلى عامله على المدينة الوليد بن عُتبة أن يأخذ له البيعةَ من الناس، وأوصاهُ بقوله:

.. خُذْ حُسَيناً، وعبدَ الله بنَ عمر، وعبدَ الله بنَ الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رُخصة، حتى يُبايعوا، والسلام

أرسل الوليدُ إلى أولئك النَّفر، فلمّا جاءَهُ الحسينُ، أخبره بموت معاوية، وعَرَضَ عليه البيعة ليزيد فقال الحسين :

إنا لله وإنا إليه راجعون رَحِمَ اللهُ معاوية !.. أمّا البيعةُ فإنّ مثلي لا يُبايع سرّاً، فإذا خرجتَ للناس، فدَعَوتَهم إلى البيعة، ودَعَوتَنا معهم، كان الأمرُ واحداً ...

وكان الوليدُ يحبُّ العافيةَ فتركه ينصرف . أمّا ابنُ الزبير فخرج من ليلته، وسار إلى مكّة قائلاً :

أنا عائذٌ ببيت الله !

وأمّا عبدُ الله بنُ عمر فقد قال للوليد حينما ذهب إليه :

إذا بايع الناس بايعتُ !

ثم دُعِيَ الناسُ إلى البيعة فبايعوا، وبايع عبدُ الله بن عمر وعبدُ الله بنُ عبّاس ...

وفي تلك الليلة ، خرج الحسينُ بن عليّ من المدينة ، وأخذ معه بنيه وإخوته وبني أخيه وجلّ أهل بيته إلا أخاه محمد بن الحنفيّة ، فإنه أبى الخروج معه إلى مكة ، ونصح له ، فلم يقبل نصحه ومضى في طريقه إلى الكعبة ...

أقام الحسينُ بمكة رافضاً بيعة يزيد ، وكان أهلها يختلفون إليه ويأتونه مجتمعة له ، وإذا ما لذكرى جده ﷺ وأبيه يصلّون صلاته ، ويتضمّ مناسكهم خلفه ...

وأمّا ابنُ الزبير فقد لزم جانباً من جوانب الكعبة انفرد فيه عن الناس ، فلم يكن يصلّي بصلاتهم ولا يفيضُ في الحج بإفاضتهم ، إشارةً منه إلى استقلاله برأيه . ولكنه كان يأتي الحسينَ فيمن يأتيه ، ويشير عليه بالخروج على بني أميّة ، لإزاحته من طريقه ، فقد كان طامعاً بالخلافة راغباً فيها ، ولكن أهل الحجاز لا يبايعونه مادام الحسينُ بين ظهرانيهم ...

فاجعة كربلاء

ولما بلغ أهل الكوفة موتُ معاوية ، وامتناعُ الحسين عن البيعة ليزيد، وخروجه إلى مكة . وكان أكثرهم أشياعاً للإمام علي بن أبي طالب ، كارهين لسلطان الأمويين ، كتبوا إلى الحسين يقولون :

... فاقدم علينا ، لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى . والنعمانُ بنُ بشير في قصر الإمارة لا نجتمعُ معه في جُمعة ولا عيد ، فإذا بلغنا إقبالك إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

وطفقتِ الرسلُ تتصلُ بين الحسين وبين أهل الكوفة ، وكثُرتِ الكتبُ التي أمضاها أشرافُ الناس ، وزعماءُ القبائل . والقُرّاءُ من أهل الكوفة وكلُّها تدعوه إلى أن يأتي الكوفةَ ليكون إمامَهم ، بعدما يُعلنون خلعَ يزيد ، ويخرجون عاملَه النعمانَ بن بشير من الكوفة ...

أراد الحسينُ أن يستقصي أمرَ هؤلاء الأشياع فأرسلَ إليهم ابنَ عمه مُسْلِمَ بنَ عقيل، نائبًا عنه في تَلَقِّي البيعة، ومُنَظِّمًا لصفوف الأنصار وآمرًا بتقوى الله، ووعده أن يلحق به بعدما يستلمُ منه ما يشيرُ إلى اجتماع الناس في الكوفة على خَلْع يزيد ومبايعته.

مضى مُسْلِمُ بنُ عقيل إلى الكوفة، فأقبلت اليه الشيعة. وانضمَّ إليه أكثرُ من ثمانية عشر ألفًا وأعطوه بَيْعَتَهم ...

كنا على استعداد لقتال بني أمية ومناصرة الحسين!

... أما بعد، فلا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإنّ فيهما هلاكَ الرجال، وسَفْكَ الدماء.. وإني لا أقاتلُ إلا من يقاتلني ولا آخذُ أحدًا بالظِّنّة، ولا بالتُّهمة، ولكنكم إن نكثتم بيعتكم فوالله لأضربنّكم بسيفي، ولو لم يكن لي منكم ناصرٌ ...

علم النعمانُ بنُ بشير بما يدبّرُه مُسْلِمٌ، فلم يَعْتَفْ بالناس، ولا حاوَلَ الوصولَ إلى مُسْلِم بل صَعِدَ المِنْبَرَ، وقال:

واتَّصلَ بيزيد ما يُدبِّرُهُ مسلمُ بنُ عقيل في الكوفة . لخلع طاعته . والخروج عليه ...

فاستشارَ يزيدُ أصحابه في والٍ شديدٍ يُبعِدُ عنه هذا الخَطَرَ . فأشارَ عليه سرجونُ بنُ منصور بأن يضمَّ الكوفة إلى عبيد الله بن زياد والي البصرة ...

كتبَ يزيدُ إلى عُبيد الله بن زياد يُوَلِّيه الكوفة ويأمرهُ بالشخوصِ إليها من فَوْرِه ، فَفَعَلَ وأقبلَ إلى الكوفة ، وخطبَ أهلَها خطبةً شديدةً ذكَّرتهم بخطبة أبيه البتراء يوم جاءَ البصرة أميراً عليها ...

أما بعد! فإنَّ أمير المؤمنين ولاّني مِصْرَكم* ، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم ، وبالإحسان إلى مُطيعكم ، وبالشِّدَّة على عاصيكم ومَريبكم .. وأنا متَّبعٌ فيكم أمرَهُ ، ومُنفِّذٌ فيكم عَهْدَهُ فأنا لمُحسِنِكم كالوالدِ البَرِّ ، ولمُطيعِكم كالأخِ الشقيق ، وسيفي وسوطي على من خالف عهدي ...

* مِصْرَكم : بلدكم

ثم نهض عبيد الله بالأمر نهوضا لا تردد فيه فبث العيون والأرصاد في جميع أنحاء الكوفة كيلا يفلت مسلم ابن عقيل من يده وطلب من رؤساء القبائل والزعماء كافة :
دلوني على الغرباء ، واكتبوا لي أسماء الضيوف القادمين إلى الكوفة . وليضمن لنا كل منكم ألا يخالف رجاله عهدنا !

فلما شعر مسلم بعيون عبيد الله يلاحقونه في كل مكان ، لجأ إلى هانئ بن عروة المرادي أحد سادات الكوفة واشرافها فاستجار به ، فأجاره .

إنه العار أبد الدهر إذن ! كيف أسلم رجلا استجار بي فأجرته ؟
وقد جد ابن زياد في البحث عن مسلم إلى أن بلغه أنه مختبئ عند هانئ ، فدعا بهانئ ، وكان من قبل يبالغ في إكرامه ، فعاتبه على إخفائه ابن عقيل في داره . فأنكر هانئ ذلك ولكنه ما لبث أن اعترف وامتنع من تسليمه ...

ولما علم مُسلمٌ بالأمر نادى في أشياع الحسين بشعارهم، وكانوا أكثر من ثمانية عشر ألفاً فثارت معه ألوفٌ منهم، وساروا وراءَهُ حتى بلغوا مسجد الكوفة ...

فأمر ابنُ زياد زعماءَ القبائل أن يخرجوا في الحال، ويُؤلِّبَ كلٌّ منهم رجالَ قبيلته على ابن عقيل، ويُخذِّلَهم عنه، ولم يكن معه بالقصر ساعتئذٍ الأثلاثون رجلاً من الشُرَط، وعشرون من رؤساء القبائل وأشرافها ...

ولم يكد الليلُ يتقدَّمُ ، حتى تفرَّقت تلك الألوفُ عن ابن عقيل ، وتركته وحيداً يهيمُ في دُروب الكوفة ، يلتمسُ لنفسه داراً تؤويه ، يمضي فيها بقيّة ليله !

ولمّا علم ابنُ زياد بمكان ابن عقيل ، أمر بإحضاره ، فجيءَ به ، فأمر بقتله وقتل هانئ بن عروة المرادي الذي أجاره ...

وكان مسلم بنُ عقيل قد كتب إلى الحسين بأنه أخذ البيعة له من معظم أهل الكوفة ، وألحَّ عليه في القدوم ، ولكنه لما انفضَّ أولئك الأشياعُ عنه ، واقتيدَ إلى القتل ، أرسل من يُخبر الحسين بحاله .
قلْ له أن يرجع بأهل بيته من حيث أتى ، ولا يَغُرَّنَّه أهلُ الكوفة فإنهم أصحابُ أبيه الذين كان يتمنَّى فراقهم بالموت أو القتل !

عزم الحسين على المسير
إلى الكوفة . جعل الناس يلحّون
عليه في ألاّ يفعل . يحذّرونه بأس
يزيد . وبطش ابن زياد . وغدر
أهل الكوفة ...
فجاءه ابن عمه عبد الله بن عباس . فنصح له قائلاً :
إني أخاف عليك في هذا
الوجه الهلاك .. إنّ أهل الكوفة قوم غدر
فلا تقربنّهم . أقم بهذا البلد فأنت سيّد
أهل الحجاز .. فإن أبيت إلاّ أن تخرج
فسِرْ إلى اليمن ...

ولكنّ الحسين أبى
إلاّ الخروج
فأشار عليه
ابن عباس:
فإن كنت لا بدّ سائراً . فاترك
أهل بيتك هنا آمنين . وادعهم
إليك متى استقامت لك
الأمور ...

ثم جاءه كتابٌ من عمّه عبد الله بن جعفر يستحلفُه فيه بالله أن يرجع. وجاءَهُ من أمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص، وقد ضمَّ إليه يزيدُ ولاية المدينة خلفاً للوليد بن عُتبة، كتابٌ يؤمّنُهُ فيه على نفسه وأهله وأصحابه، ويسأله الرجوع إلى مكة أو المدينة. ولكنّ الحسينَ أصرَّ على المضيّ إلى الكوفة.

وخرج من مكة يومَ التَّروية، أي في الثامن من شهر ذي الحجّة سنة ٦١ هـ لم ينتظر العيدَ بمكة، لأنّ ما اتّصل به من أخبار البيعة بالكوفة، حفزَهُ الى التعجيل بالسفر. ولم يكن مسلم بنُ عقيل قُتِل يومئذٍ، فقد قُتِل في التاسع من ذي الحجة والحُسين في طريقه إلى الكوفة.

وقد مَضى مع الحسين أهلُه وأولادُه، وعددٌ من إخوته ونَفَرٌ من بني أخيه الحسن، واثنان من بني عبد الله بن جعفر الطيّار، وإخوةُ مسلم بن عقيل، ورجالٌ آخرون حرصوا على أن ينصروه.

وفي الطريق لقيَهُ الفَرزْدَقُ الشاعرُ، فسأله الحسينُ عن خبر المسلمين في الكوفة، فقال:

ولما قارب الحسينُ أرضَ العراق بلغَهُ مقتلُ مُسلم فارتابَ من أهل الكوفة، وناشَدَهُ بعض أصحابه الرجوعَ إلى مكة، فوثب بنو عقيل وقالوا وقد نَسُوا ما هم فيه من قلّة :

فقال الحسين:
لا خيرَ في العيش بعد هؤلاء!

والله لا نبرح حتى نُدرك ثارنا أو نذوق كما ذاق مسلم!

أحبَّ الحسينُ أن يستوثقَ مرةً أخرى، فكتب إلى أهل الكوفة يُخبرهم بمَقْدَمِه، ويحضُّهم على التأسُّد والجِدِّ والعمل معاً في أمرهم. ولكنّ شَرَطَ ابن زياد اعتقلوا رُسُلَهُ ودُعاتَه، فكان الحسينُ كلما سأل قادماً من العراق أنبأه بمقتل واحد منهم.

ثم دنا الحسينُ من العراق، فاعترضه الحرُّ بن يزيد التميمي على رأس ألف من فرسان الكوفة، وأبلغه

إنّا أُمِرْنا ألّا نُفارقك حتى نُقْدِمَكَ الكوفةَ على عبيد الله بن زياد..

الموتُ أدنى إليك من ذلك

ومضى الحسينُ في طريقه ، والحرُّ بنُ يزيد يُراقبه حتى نزل كَربلاء في الثاني من المحرَّم سنة ٦١ هـ . فتشاءَم من اسمها قائلاً : أرضُ كَرْب وبلاء!
وهناك قدم عليه جيشٌ من أربعة آلاف ، عليهم عمر ابنُ سعد بن أبي وقاص ، كلهم من أهل الكوفة ليس فيهم أحدٌ من أهل الشام ، ومضى عُمَرُ فسأل الحسين:

فقال الحسينُ إنَّ أهل الكوفة كتبوا إليه يَستَمِدُّ معونه ، ويبذلون له البيعةَ والنصرَ ، وأظهر كُتُبَهم لِعُمر ، فعَرضت هذه الكتب على بعض من أمضاها ممَّنْ حَضَرَ ، فكلهم أنكرها ..

فَعَرَضَ الحسينُ على عمر أن يُخَلّوا بينه وبين طريقه إلى الحجاز ، فيرجع إلى مكة ، أو أن يَدَعُوه يمضي إلى ثَغْرٍ من ثُغور المسلمين ، فيجاهد في سبيل الله ... فرضِيَ عمرُ ، وكتب إلى ابن زياد فأبى هذا إلاّ أن ينزل الحسينُ على حُكمه ، وهو ما لا يَقبَلُه الحسينُ أبدا ، فَنَشِبَ القتالُ بين الفريقين في العاشر من المحرَّم سنة ٦١ هـ ، فقُتِلَ الحسينُ وأصحابُه جميعًا ، وعددهم اثنان وسبعون رجلاً ، وقُتِلَ من جيش العراق ثمانية وثمانون ، وحُمِلَ رأسُ الحسين مع أهله ، وفيهم ابنُه عليٌّ وكان صغيرًا فنجا من القتل ، إلى ابن زياد ، فوجَّههم إلى يزيد ، فلمّا أُدخلوا عليه ، قيل إنه أغلظ لهم أولَ الأمر ، ثم لم يلبثْ أن رفق بهم ، وبَرَّهم ، وأدْخَلَهم على أهله ، ثم جَهَّزَهم بعد ذلك وأكرمهم ، وردَّهم إلى المدينة ، وأوصى عامله على المدينة خيرًا بعليّ زين العابدين ...

ثورة الحجاز

ناله أهلُ الحجاز مما أصابَ الحسينَ وأصحابه . فأقبل بعضهم يتحدَّثُ إلى بعض ...

لم يصح الخروج عليه واحد

لم تَعُدْ طاعة يزيد واجبة!

وكان عبدُ الله بنُ الزبير بعد ما أبى البيعةَ ليزيد في المدينة ، فرَّ إلى مكة . وأعلن أنه عائذٌ بحَرَم الكعبة . وكان يدعو الناس لبيعته في السرّ ويظهر أنه معتزل عن أمور الدنيا ...

ولما بلغَهُ قتلُ الحسين قام في المسلمين ، فعابَ على أهل الكوفة غدرهم بالحسين ، وانقلابهم على أعقابهم ناكثين .

.. وإنهم دَعَوا الحسين لينصروه ويُوَلّوه عليهم ، فلما قَدِمَ عليهم ثاروا عليه وانقلبوا ... فرحم اللهُ الحسينَ وأخزى قاتلَهُ !

استغلَّ ابنُ الزبير مقتلَ الحسين، وبالغَ في التهيج بيزيد، وأضاف إلى أخلاقه من السوء والشرّ الكثير، مما حمل أهل مكة والمدينة على الغلوّ في كُرْه يزيد فذهبوا إلى ابن الزبير يقولون :

لا تعجلوا!

أظهِرْ بيعتَك فإنه لم يبق أحدٌ يُنازعُك هذا الأمر بعد مقتل الحسين.

وانتهى إلى يزيد اضطرابُ أمر الحجاز، فطلب إلى عامله هناك أن يُرسل إليه وفدًا من أشرافِ القوم ووُجوههم ليسمعَ منهم ما يُريدون ..

فأقبل وفدٌ من أشراف أهل المدينة، فيهم عبدُ الله بن حنظلة وعبدُ الله بن أبي عمرو، والمنذرُ بنُ الزبير وغيرُهم، فلقيَهم يزيدُ أحسن لقاء، وبالغ في إكرامهم، ووصلَهم فأعطى ابنَ حنظلة مئة ألف درهم، وكان معه ثمانيةُ بنين، فأعطى يزيد كلَّ ولد منهم عشرة آلاف، وأعطى المنذر بن الزبير مئة ألف، وأعظمَ جوائز الباقين

قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر ويتبع شهواته، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه!
ثم رجعوا إلى المدينة فأتوا في الناس يشتمون يزيد ويعيبونه ويقولون لأهل المدينة:
ثم عبد الله بن حنظلة، فقال:
جئتكم من عند رجل لو لم أجد إلا بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم وقد أعطاني وأكرمني، وما قبلت منه عطاءه إلا لأتقوى به.

فأعلن أهل المدينة خلع يزيد، وبايعوا عبد الله بن حنظلة وطردوا عامل يزيد من المدينة...

علم يزيدُ بما صار إليه أمرُ أهل المدينة، فأرسل إليهم النعمانَ بن بشير الأنصاري، ينصحُ لهم بلزوم الطاعةِ والكفِّ عن الفتنة ...

فقدم النعمانُ على قومه بالمدينة فأشار عليهم بلزوم الطاعة وخوَّفهم عاقبةَ الفتنة، فلم تَجُدْ نصيحتُه لهم نفعاً ...

وقام أهلُ المدينة بعد ذلك فحَصَروا مَنْ في المدينة من بني أميّة في دار مروان بن الحكم فكتب هؤلاء إلى يزيد يستغيثون به ...

وحينذاك جَهَّز يزيدُ جيشاً من اثني عشر ألف رجل، وأمَّر عليهم مُسْلِمَ بنَ عُقْبَةَ المُرّي فقدم المدينة سنة ٦٣ هـ، فحاصرها وطلب من أهلها العودةَ عن عصيانهم، وإعلانَ طاعتهم فرفضوا ذلك، فنشِبَ بين الطائفتين قتالٌ، انتهى بانتصار جيش مسلم، فدخل المدينة وأسرف في التنكيل بأهلها، وأخذ منهم البيعة أخذاً مُنكَراً ...

ثم تحوّل جيشُ مُسلم عن المدينة إلى مكّة ، لردّ ابن الزبير إلى الطاعة . فمات مسلمُ بن عقبة في الطريق ، فخلفَهُ الحصينُ بن نُمَيْر على قيادة الجيش ، فسار بالجيش إلى مكة ، فقدِمَها في أواخر المحرّم سنة ٦٤ هجرية . وكان أهلُها بايعوا عبدَ الله بن الزبير وخلعوا طاعة يزيد ...

خرج ابنُ الزبير لِلقاءِ جيشِ الحُصَيْن ، فقاتلَهم ، فَحَملوا عليه حملةً انكشَفَ منها أصحابُه ، فارْتَدّوا إلى الكعبة ، واعتصموا بها ، فحاصروهم حِصاراً شديداً ، ورَمَوْهُم بالمنجنيق . ولم يَزَلِ الحصارُ على ابن الزبير حتى تُوفِّيَ يزيد ، وانتهى نبأ وفاته الى المتقاتلين ، فتوقّفَ القتالُ ، وانْسَحَبَ الجيش عائِدا إلى الشام حَقْناً للدماء ...

الفتوح في عهد يزيد

سار يزيد على خطة أبيه في جهاد الروم، والتوسع في الفتوح، وكان جلدا صبورا قويا، ولكن الظروف التي أحاطت به، والأحداث التي وقعت في عهده أساءت إلى سمعته، وبالغت في تشويه صورته عند المسلمين ...

في إفريقية انتهى دور أبي المهاجر دينار، حينما وَفَى يزيدُ بوعد أبيه، وأعاد عقبة بن نافع والياً على إفريقية، بعد أن مات مَسْلَمَةُ بنُ مخلَّد الذي جمع له معاوية مصر والمغرب معاً ...

واستأنف عُقبةُ عَمَلَهُ ، فسار إلى القيروان سنة ٦٢ هـ ، ولمّا بَلَغَها أعدَّ جيشاً عظيماً لغزو المغرب الأقصى ، وولّى على المدينة زهير بن قيس ، وترك فيها جُنداً يحمي الذراري والأموال ، وقال لزهير مودّعاً :

إني قد بعتُ نفسي من الله عزَّ وجلَّ فلا أزال أجاهِدُ من كَفَرَ بالله !

ثم سار عقبةُ بجيشه حتى دخل مدينة باغاية* ، فهزم الرومَ فيها هزيمةً مُنكَرة ...

وانتقل المسلمون بعد باغاية إلى بلاد الزاب* ، فقاتلوا الرومَ فيها ومَنْ حالفهم من القبائل ، حتى هزموهم ...

* باغاية : مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجانة وأسطبنة ...
* الزاب : كورة عظيمة بأرض المغرب ، فيها البربر ، عليها بادية واسعة بين تاهرت وسجلماسة .

وارتحل عقبةُ بعد ذلك بالمسلمين إلى تاهرت*، فاشتعل الروع بالبربر، وهنالك اشتدّ القتالُ، ودارت معركة عنيفةٌ، ولكنّ الله أنزل نصره على المسلمين، فانهزمت الروم والبربر وولّوا الأدبار بعد أن كثر فيهم القتلُ، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ...

ثم سار عقبةُ حتى نزل في طَنْجَة، ومنها رَحَلَ إلى السوس الأدنى، فالسوس الأقصى، وقد اجتمع له جمع عظيم من البربر، فقاتلهم وهزمهم ومضى حتى بلغ البحر المحيط، فأوطأ فرسَهُ الماءَ* حتى بلغ الماءُ صدره، وقال:

اللهمّ لولا هذا البحرُ لمضيتُ في البلاد مجاهداً في سبيلك، أقاتل من كفر بك، حتى لا يُعبدَ أحدٌ من دونك ..!

وانصرف عقبةُ بعد ذلك بجيشه عائداً إلى القَيْروان، فَنَفَرَ الروم والبربرُ عن طريقه خوفاً منه ...

* تاهرت: اسم مدينتين متقابلتين بأقصى المغرب إحداهما قديمة والثانية محدثة..
* خاض البحر بفرسه ...

ولما وصل إلى مدينة طُبنة ، وهي على مسيرة ثمانية أيام من القيروان ، أمر جنوده أن ينفصلوا عنه وأن يتقدموا فوجا فوجا ، ثقة منه بما نال من العدو ، ويقينا بأنه لم يبق أحدا يخشاه منهم ...

وكان عقبةُ حين قدمَ القيروانَ أساءَ عَزْلَ ابي المهاجر دينار ، واشتدَّ في معاملة حليفه كسيلة بن لمزم ملك البربر ، فانضم هذا مع أتباعه إلى القوات البيزنطية ...

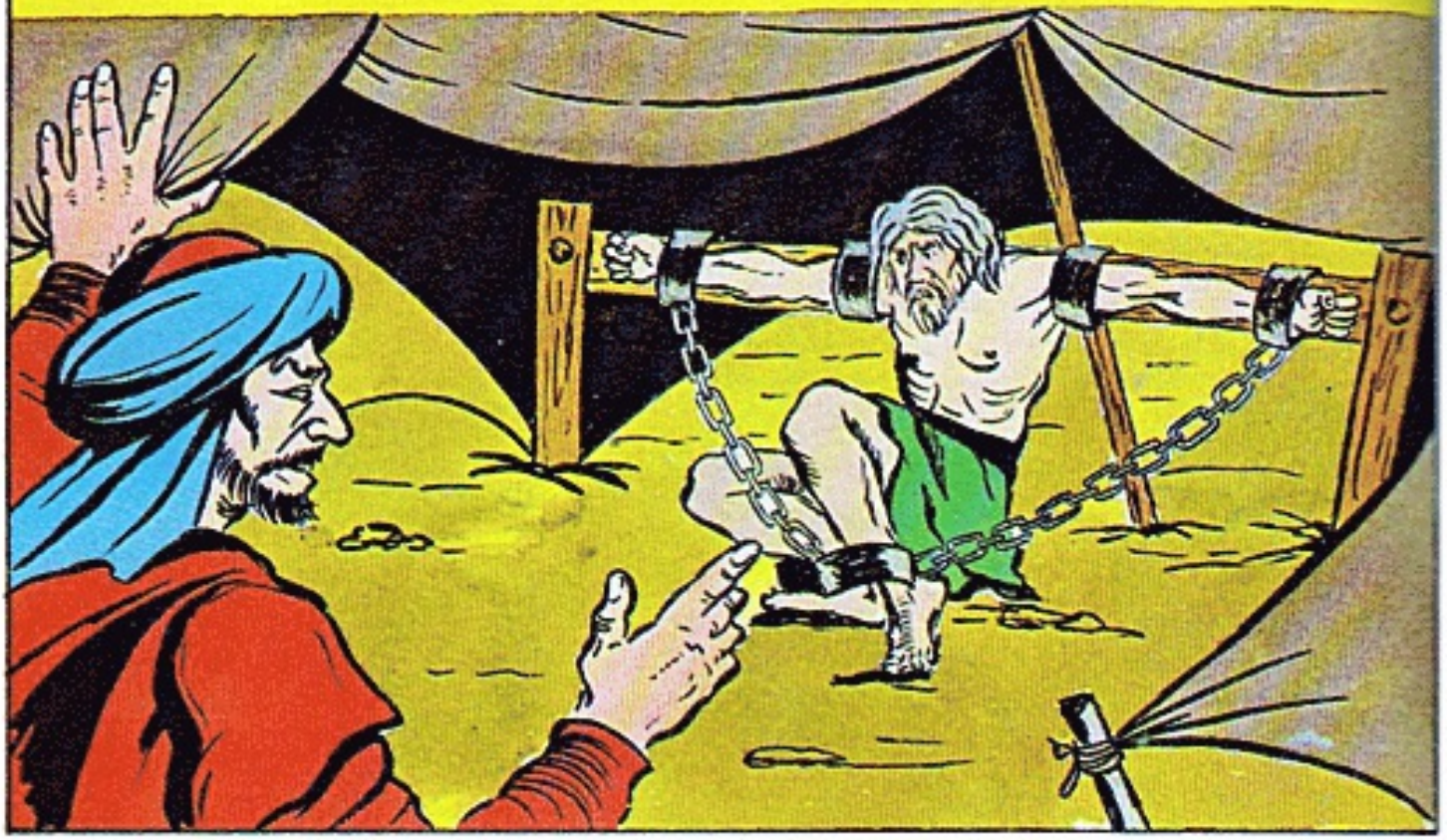

وعندما وصل عقبةُ في طريق العودة إلى مدينة تهودة ، ولم يكن بقي معه سوى خمسة آلاف رجل من جُنده ...

عَرَضَ له كُسَيْلةُ على رأس جيش من الروم والبربر يُقدَّرُ بخمسينَ ألفِ رجُل ...

فدارت بين الفريقين معركةٌ طاحنةٌ استُبسِلَ فيها المسلمون وقاتلوا قتال الأبطال ، ولكنَّ الغَلَبَةَ كانت للفريق الآخر ، فقُتِلَ عقبةُ ومن كان معه ومازالت قبورُهم معروفةً بمدينة تهودة ...

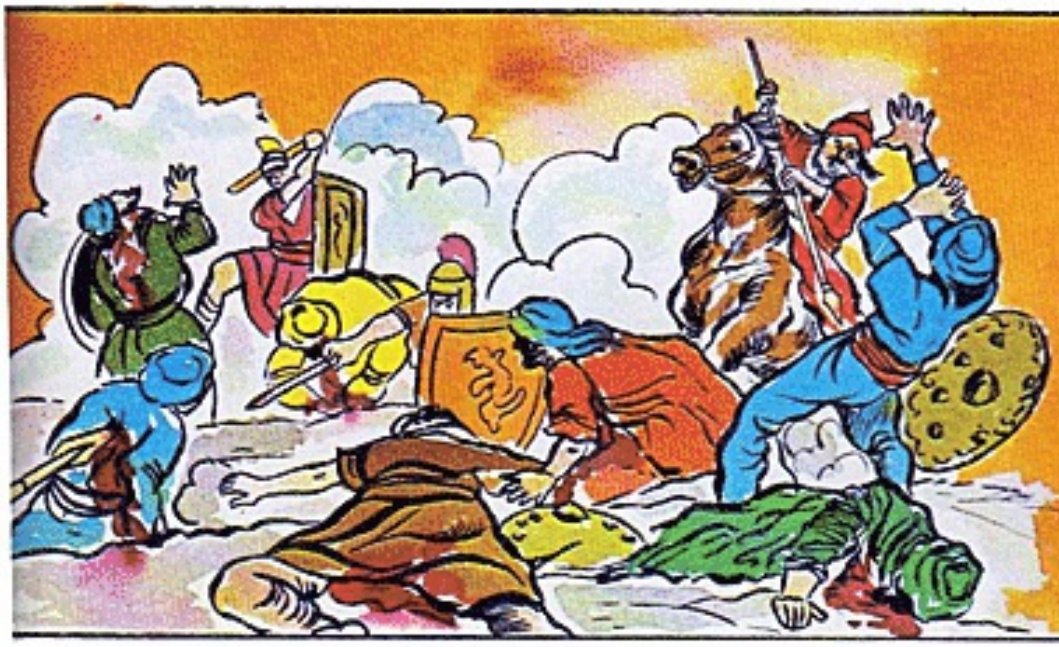

ولما علم زهيرُ بن قيس بمصرع عُقبةَ وأصحابه، وزحف الروم والبربر، انسحب بالمسلمين من القيروان إلى برقة، فرابط هناك يطلب الأمداد من عاصمة الدولة، لاستئناف الجهاد، واسترجاع ما اغتصبه كُسَيْلةُ من أقاليم المسلمين.

وقد استثمر كُسَيْلةُ نصرَه على عُقبة، فجمع إليه أهل إفريقية ودخل القيروان فامتلكها، وأمَّن مَنْ فيها من المسلمين، وسيطر على شمال إفريقية كلِّه. فعاد الأمرُ فيه كما بدأ أيام عمرو بن العاص ...

أما في المشرق فقد وَلِيَ يزيدُ على خُراسان سَلْمَ بن زياد سنة ٦١ هـ، فسار إليها، ثم انطلق منها غازياً، ومعه في جيشه نَفَرٌ من قادة المسلمين أمثال عُمران بن الفُضَيْل والمهلَّبُ بن أبي صُفْرة وعبد الله بن خازم وغيرهم، ففتح خوارزم وبُخارَى ...

ثم غزا سلم سمرقند. وكانت معه زوجه أم محمد. وقد عبرت نهر جيحون. وهي أول امرأة عربية قطعت هذا النهر!.. وحقق المسلمون في هذه الغزاة مزيدا من الانتصارات. ورفعوا راية الإسلام في آفاق أوسع وأكثر بعدا ...

الجوانب الحضارية

أخذت دمشق منذ أصبحت عاصمة للدولة العربية الإسلامية تتسع ويزداد عمرانها، وتكتسب أهمية عالمية كبرى، فهي مركز دولة تمتد حدودها حتى جبال القفقاس شمالا، والمحيط الأطلسي غربا، والصحراء الكبرى والسودان والحبشة والمحيط الهندي جنوبا، ووادي السند شرقا. هذا فضلا عن كونها أقدم مدن العالم الباقية قدما، وأرسخها في الحضارة قدما، وموقعها على بساط من سندس صنعته يد الله، فكأنه بحر من الخضرة، لكثرة ما فيه من الأزهار والزروع والأشجار ...

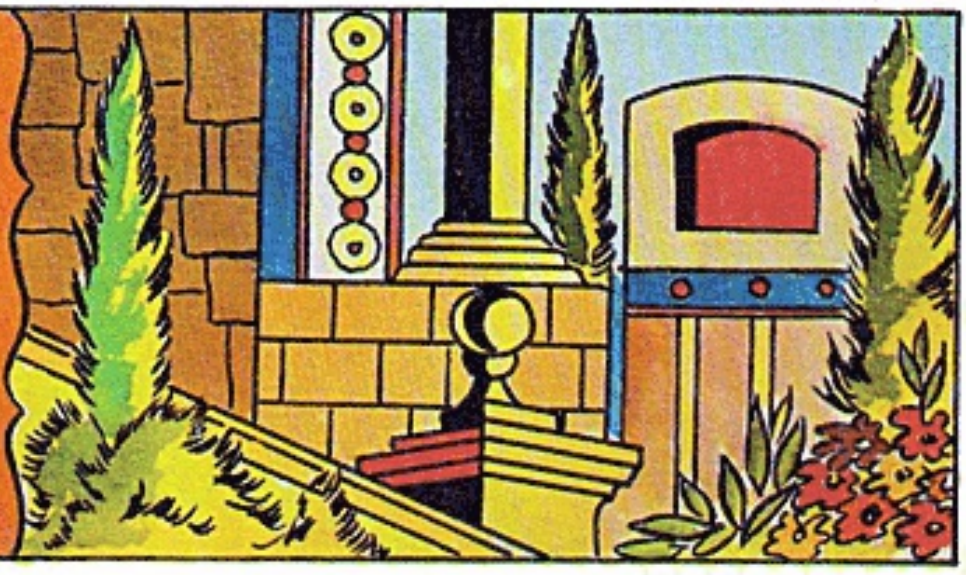

أقيمت في عهد يزيد قصور كثيرة للأمراء وكبار رجال الدولة، وقد امتازت بالأبهاء الواسعة، والأعمدة الرخامية والحدائق الحافلة بكل أنواع الورد والأزهار والرياحين، بجانب الأشجار المثمرة، والسواقي الجارية، كما امتازت بالأثاث الفاخر، الذي كان يستورد من كل بلاد العالم ...

ولم يبق من آثار تلك القصور التي بُنيت أيام معاوية ويزيد شيءٌ ، لأنها شُيّدت من الآجر وقليل من الحجارة . في مكان رطب ، غزير المياه كثير البساتين . فاندثرت مع تطاول الزمن ! .. فقد أقيم معظم تلك القصور في الشَّرَبيّن على مدخل دمشق الغربي ، حيث الرَّبوة وبساتينها الخضراء المُثمرة ومياهها المتدفقة عبر سبعة أنهر متفرعة من بردى ، نهر دمشق الخالد ...

وقد خرج الناس في عهد يزيد من دمشق القديمة ، وصعدوا إلى سفح جبل قاسيون الذي يُشرف على مدينة دمشق ويحضنها ، واتخذوا لأنفسهم فيه منازل ودُورا وقصورا ...

فكان على يزيد أن يؤمّن لهؤلاء السكان مياها تصل إلى بيوتهم ، وتروي حدائقهم وبساتينهم . وقد أمر بحفر فرع جديد لنهر بردى قبل وصوله إلى دمشق وأشار بأن يكون انحدارُه أقلّ من مجاري الفروع الأخرى ، لكي يسقي المنطقة الجديدة المرتفعة عن مستوى المدينة فقد كان يزيدُ مهتمًا بالهندسة . وكان يُسمّى مهندس بني أمية ...

وما يزال النهر حتى اليوم يُسمّى بنهر يزيد، وهو يسقي مناطقَ المهاجرين والصالحيّة. أما فروعُ بَرَدى الأخرى فهي: باناس، قنوات، الدَّيراني تورا، القنّاة، وبَرَدى ...

ويُنسَبُ إلى يزيد كذلك اهتمامه بإصلاح النظام المالي والإداري في الدولة، وأنه أوّلُ من خدَمَ الكعبةَ وكساها الديباج، وأوّلُ صيّاد اشتُهر في الإسلام، فقد علّم الفُهودَ أن تتركبَ على أكتاف الجياد، وكان يُلبِسُ كلابَ الصيد خلاخلَ من ذهب ويُعيّنُ لكلٍّ منها عبداً يقوم على خدمته ...

وكان يزيدُ إلى ذلك شاعراً يحبُّ الموسيقى، ويطربُ لها. وقد أدخل الغناءَ والعَزْفَ إلى قصر الخلافة وكان أوّلَ من أقام في دار الخلافة المهرجانات الحافلة بالغناء والموسيقى والملاهي .. وكانت له اهتمامات علميّة، وقد انتقل وَلَوعُهُ بالعلم إلى ابنه خالد الذي تفرّغ للعلم وأبدع فيه ...

وفاة يزيد

توفي يزيدُ بن معاوية بحوارين يوم ١٤ ربيع الأول سنة ٦٤ هـ، وكانت مدة خلافته ثلاث سنوات وثمانية أشهر وأربعة عشر يومًا، وعمره تسعٌ وثلاثون سنة. وكان لا يخلو من مواهبَ وطاقات، ولكنَّ الظروف التي أوصلته إلى الخلافة، والأحداث الكبرى التي أحاطت به، وما قام في عهده من الثورات، شوَّهت سمعتَه، وجعلت الناسَ ينظرون إليه نظراتِ الكراهية والاشمئزاز، فضلاً عمّا كان لتوفُّره على اللهو والقنص والموسيقى والشعر من أثر في ذلك، ثم كانت جَريرةُ ابن زياد في قتل الحُسَين وأصحابه الطاهرين البَرَرة ذريعةً أكبرَ للنَّيل منه أبدَ الدَّهر...

معاوية الثاني

بعد وفاة يزيد بن معاوية قامت في الدولة الإسلامية بَيْعتان، إحداهما في الشام لمعاوية بن يزيد، والثانية في الحجاز لعبد الله بن الزبير...

فأمّا معاويةُ بن يزيد، فقد اختاره أهل الشام خليفةً لأبيه، فبايعوه بالخلافة في ١٤ ربيع الأول سنة ٦٤ هجرية وكانت سنّه إحدى وعشرين سنة...

نرى أن تبقى الخلافة في أسرة معاوية. ونبايع حفيدَهُ معاوية ابنَ يزيد.

وكان معاوية الثاني شابا شديد التقى والورع، ولكنه كان مريضا ضعيف الجسم، زاهدا في أمور الدنيا، فلم يلبث سوى ثلاثة أشهر في الخلافة، ثم أمر فنودي في الناس:

فحضر المسلمون إلى المسجد، وفيهم وجوه الناس وأشرافهم وزعماء القبائل، فوقف معاوية الثاني فيهم خطيبا، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال:

أما بعد، فإني ضعفت عن أمركم، فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب، فلم أجد، فابتغيت ستة كأهل الشورى الذين اختارهم عمر، فلم أجد، فأنتم أولى بأمركم، فاختاروا له من أحببتم!

ثم التفت معاوية الثاني إلى الضحاك بن قيس الفهري وهو سيد عرب الشمال في عصره، فأوصاه:
صل بالناس، وأقم لهم أمرهم حتى يجتمعوا على خليفة..!

عبد الله بن الزبير
كان معاوية الثاني يكره أن تنحصر الخلافة في بني أمية، وأن تنتقل بالوراثة ورأى نفسه عاجزاً عن لَمّ شعث الأمة، وإصلاح أمرها، فتنازل عن الخلافة ودخل منزله فاحتجب فيه عن الناس، ثم مات بعد أيام من ذلك، وقد رفض أن يستخلف أخاه خالد بن يزيد، وترك الأمر شورى بين المسلمين ...
وأما عبدُ الله بنُ الزبير فقد كان مُعتصماً بمكة، يُحاصِرُه الحُصَينُ بن نُمير حينما تُوفي يزيد، ليأخذ البيعة منه فلما علم الحُصينُ بوفاة يزيد بعث إلى ابن الزبير يُريد مُحادثته.

فجاء ابنُ الزبير، فقال له الحُصَينُ :
أنت أحقُّ بهذا الأمر، هلمَّ فلنُبايعك، ثم اخرجْ معنا إلى الشام .. فوالله لا يختلف عليك اثنان، وتُؤمَّنُ الناس، وتهدأ الدماء.
أنا لا أهدرُ الدماء، والله لا أرضى أن أقتل بكل رجل مِنا عشرة منكم !

وكان الحُسَينُ يُكلّمه سِرّاً، وابن الزبير يرفعُ صوته ليُسمِعَ الناسَ، ويُردّد :

والله لا أفعل،
والله لا أفعل!

فغضب منه الحُسَينُ، وقال له :

قد كنتُ أظنُّ لكَ رأياً، وأنا أُكلّمك سرّاً وتُكلّمني جَهْرًا، وأدعوك إلى الخلافة وأنتَ لا تريدُ إلاّ القتلَ والهَلَكَةَ، قَبّحَ اللهُ من يَعُدُّك أريباً !

ثم فارقَهُ الحُسَينُ بجيشه، ومضى إلى الشام، فوصل إليها وقد بُويعَ لمعاوية ابن يزيد. ولو خرج معه ابنُ الزبير لبايعه الناسُ جميعاً، ولم يختلف عليه أحدٌ ...

وعبدُ الله هو ابنُ الزبير بن العوّام، حواريّ رسول الله ﷺ وابن عمّته، وأمّه أسماءُ ذاتُ النطاقين بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه. وهو أوّل مولود للمسلمين في المدينة بعد الهجرة، في السنة الأولى منها، وكان بطلاً شجاعاً، وخطيباً أفوه، وقد شهد فتوح إفريقية وحصار القسطنطينية بايعهُ أهلُ الحجاز بالخلافة بعد موت يزيد سنة ٦٤ هـ...
ولما مات معاويةُ الثاني، اضطرب أمرُ المسلمين لأنهم أصبحوا بدون خليفة، وصارت أمورُ الدولة تجري بطبيعتها، يُسيّرُها الولاةُ والأمراء وبقي المسلمون بدون خليفة عدة أشهر من عام ٦٤ هـ، واختلف بنو أميّة فيما بينهم. وفكّر بعضُهم أن يُبايع ابنَ الزبير للخروج من هذا المأزق.
نبايعُ عبد الله بن الزبير
وقد انقسم الناسُ في الشام فريقين، أحدُهما بزعامة الضحّاك بن قيس أمير دمشق يؤيّده النعمان بن بشير أمير حمص، وزفر بن الحارث الكلابي أمير قنّسرين..

والثاني بزعامة حسّان بن مالك الكلبي أمير بادية الشام، وكان يدعو لبقاء الخلافة في بني أمية، فبايعه أهلُ فلسطين على شرط ...

نبايعك على شرط أن تُجنّبنا خالد بن يزيد فهو غلام، وإنا نكره أن يأتينا الناسُ بشيخ ونأتيهم بغلام !..

وفي العراق أدرك عبيدُ الله بنُ زياد خطورةَ الحال، فهرب إلى الشام، واجتمع بمروان بن الحكم، فأقنعه أن يطلب الخلافة لنفسه ..

أنت شيخُ بني أمية اليومَ، وكبيرها، وأنتَ أحقُّ بالخلافة ..

وقد بايع أهلُ الكوفة والبصرة ابنَ الزبير، فاجتمعت على بيعته العراقُ والحجازُ واليمنُ وقسمٌ من الشام. ثم أرسل عبدَ الرحمن بنَ جحدَم والياً على مصر، فاستقبله أهلُها، وبايعوا ابنَ الزبير. ولو أنه عجّل بالمسير الى الشام، واحتلّ دمشق، لتمّ له الأمرُ كلّه، ولكنه على شجاعته كان ضعيفَ الرأي فتمهّل في المسير وأبطأ، وقد أعطى هذا بني أمية فرصةً لتوحيد صفوفهم، والاتفاق فيما بينهم.

ورأى مروانُ بنُ الحكم أن ينهض بالأمر
فدعا وُجوهَ بني أميّة إلى مؤتمر
للتشاور، فاجتمعوا بالجابية بين
بادية الشام والأردن، وبايَعوا
مروانَ بالخلافة في الثالث من
ذي القعدة سنة ٦٤ هـ. وانتقلت
الخلافةُ بذلك إلى الفرع المرواني
من بني أميّة ...

ولما تمّت بيعتُه سار بالناس من الجابية إلى مرج راهط
شمالي دمشق، حيث كان يعسكر الضحّاكُ بنُ قيس مع
حلفائه ممّن بايعوا ابنَ الزبير. وجرى بين الفريقين قتالٌ
انتصر فيه مروانُ، فاستردَّ دمشق في المحرّم سنة ٦٥ هـ ..

دخل مروانُ بنُ الحكم
دمشق، ونزل في دار معاوية
ابن أبي سفيان ثم بايعه الناسُ
جميعاً في الشام بعد أن
استردَّ حمص وقنّسرين
من أنصار ابن الزبير ..

ثم أعدَّ مروانُ جيشين أحدهما بقيادته . والثاني بقيادة ابنه عبد العزيز وتقدَّم إلى مصر ، فحاول عبد الرحمن بن جَحْدَم أن يمنع تقدُّمَه فعجز عن ذلك ، فدخل مروانُ مدينة الفسطاط عاصمة مصر ، وبعد أن أخَذَ البيعة من أهلها ، استخلفَ عليهم ابنَه عبد العزيز ، وعاد إلى الشام ...

وفي الوقت نفسه سيَّر جيشاً آخر بقيادة عمرو بن سعيد ابن العاص إلى الحجاز للقضاء على خلافة عبد الله بن الزبير ، وأخْذِ البيعة من أهله ...

ولكنَّ الأجَلَ لم يمتدَّ بمروان حتى يُتمَّ ما بدأه ، فوافَتْهُ المنيَّةُ في رمضان سنة ٦٥ هـ ، فدُفن في دمشق ، وعمره ثلاث وستون سنة ، فقد وُلد في السنة الثانية للهجرة ، وأسلم أبوه الحكَمُ بنُ أبي العاص بن أمية يومَ فتح مكة ، فنشأ مروانُ مُسْلِماً وعمل في عهد عثمان بن عفّان كاتباً له ، ومشيراً وعمل لمعاوية بن أبي سفيان والياً على المدينة . وكان على وشك أن يُبايع ابنَ الزبير ، قبل أن يُصغي لنصيحة عبيد الله بن زياد . وقد أوصى بالخلافة من بعده إلى ابنه عبد الملك ...

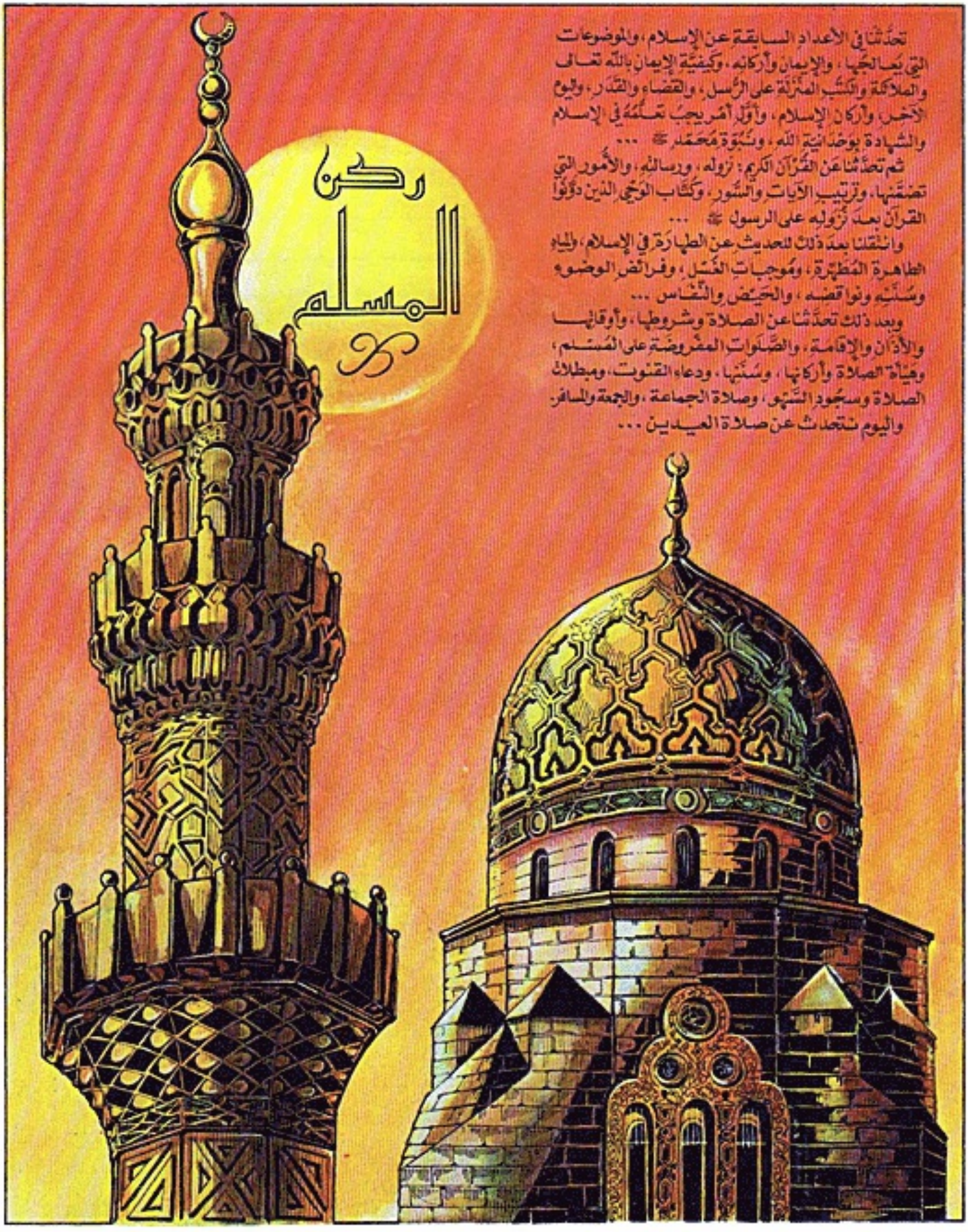

تحدثنا في الأعداد السابقة عن الإسلام، والموضوعات التي يعالجها، والإيمان وأركانه، وكيفية الإيمان بالله تعالى والملائكة والكتب المنزلة على الرسل، والقضاء والقدر، واليوم الآخر، وأركان الإسلام، وأول أمر يجب تعلمه في الإسلام والشهادة بوحدانية الله، ونبوة محمد ﷺ ...

ثم تحدثنا عن القرآن الكريم: نزوله، ورسالته، والأمور التي تضمنها، وترتيب الآيات والسور، وكتاب الوحي الذين دونوا القرآن بعد نزوله على الرسول ﷺ ...

وانتقلنا بعد ذلك للحديث عن الطهارة في الإسلام، والمياه الطاهرة المطهرة، وموجبات الغسل، وفرائض الوضوء وسننه ونواقضه، والحيض والنفاس ...

وبعد ذلك تحدثنا عن الصلاة وشروطها، وأوقاتها والأذان والإقامة، والصلوات المفروضة على المسلم، وهيأة الصلاة وأركانها، وسننها، ودعاء القنوت، ومبطلات الصلاة وسجود السهو، وصلاة الجماعة، والجمعة والمسافر.

واليوم نتحدث عن صلاة العيدين ...

صلاة العيدين

١ شرع الإسلامُ لنا عيدين عظيمين هما عيد الفطر وعيد الاضحى ...

٢ وشرع لنا فيهما صلاةً هي سنةٌ مؤكّدة وقد ورد أنه ﷺ قدم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال ماهذان اليومان قالوا : كنا نلعب في الجاهلية فيهما فقال إن الله قد أبدلكما خيرًا منهما: يوم الاضحى ويوم الفِطر ...

٣ تتألف صلاة العيد من ركعتين يُزاد في الأولى سبع تكبيرات ماعدا تكبيرة الإحرام وفي الثانية خمس تكبيرات ماعدا تكبيرة القيام ...

٤ يُسَنُّ للمصلّي أن يقول بين التكبيرة والتكبيرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر ...

٥ وتؤدّى الصلاةُ قبل خطبة العيد ، وبعد أن ترتفع الشمس بعد شروقها، قَدْرَ رُمح ، أي ما يعادل ثلث ساعة. ويستمر إمكان أدائها حتى وقت الظهر ...

٦ يتبعُ الصلاةَ خطبةٌ كخطبة الجمعة . يُكبّرُ الخطيب في الأولى تسعًا، وفي الثانية سبعاً وذلك قبل الابتداء بالحمد ...

٧ يُسَنُّ للمسلم أن يكبّر جهرًا من غروب شمس رمضان حتى دخول الإمام صلاة عيد الفطر ...

٨ كما يُسَنُّ أن يكبّر المسلم بعد الصلاة المفروضة وكلّ صلاة أيام عيد الأضحى وذلك من فجر يوم عرفة إلى غروب شمس اليوم الرابع إذا لم يكن حاجّاً. أمّا إذا كان حاجّاً فيبدأ بالتكبير من ظهر يوم النحر أوّل أيام العيد إلى غروب آخر أيام التشريق وهو اليوم الرابع .

٩ وصورة التكبير هي : الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيرا ، وسُبحانَ الله وبحمده بكرةً وأصيلاً ، لا إله إلا الله وحده صَدَقَ وعْدَه ، ونَصَرَ عبدَه ، وأعزَّ جندَهُ ، وهَزَمَ الأحزابَ وحده . لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مُخلِصين له الدّين ولو كَرِهَ الكافرون .

١٠ يُسَنُّ في نهاية التكبير أن يُصلّي المكبّر على النبي وآله وأصحابه وأنصاره وأزواجه وذرّيته ...

١١ والتكبير سُنّةٌ لا تَبْطُلُ الصلاةُ بتركه عمدًا أو سَهْوًا ، ولا يُسجَدُ للسَّهْوِ إن تُرك سهواً، وليس للعيدين أذانٌ ولا إقامة ، بل يُنادَى لهما : الصلاة جامعة . ولا صلاة سنّة قبل صلاة العيد ولا بعدها ، ومن فاتته الصلاةُ مع الجماعة صلّى ركعتين منفردًا ...

© حقوق النقل والطبع والنشر والاقتباس محفوظة لدار الشورى
طبعت على مطابع مؤسسة خليفة

تاريخنا

"TARIKHUNA"

دار الشورى - بيروت

تاريخنا

TARIKHUNA

دار الشورى - بيروت